المصـــــدر : الرياض
التـــاريخ : 11-12-2006
الصفحـات : 33
العـــدد : 14049
المسلسل : 219

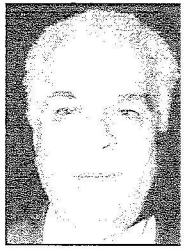

الهـويـة وتأكـيدهـا

منح الصلح

منذ الحرب العالمية الثانية وما بعدها مما سمي في زمانه مثالية ما بعد الحروب، انتقل عدد من دولنا العربية إلى وضع جديد أصبح فيه الحاكم العربي والسياسي العربي الصادق والمسؤول يعي تماماً أنه ما دامت الهوية العربية الإسلامية هي المستهدفة من بعض طغاة العالم وحكامه وموجهيه، فإن ضمانة الأمة هي الانضواء تحت راية العروبة والإسلام

المصـــــدر : الرياض
التـــاريخ : 11-12-2006 العـــدد : 14049
الصفحـات : 33 المسلسل : 219

■ سوف يُقال عن البابا الالماني بنديكتوس السادس عشر أنه أول بابا توجه بالصلاة إلى الكعبة كما يفعل المسلمون وكان ذلك في زيارة له إلى المسجد الأزرق في اسطنبول والمسلمون الأتراك متوجهون في صلاتهم إلى القبلة. أما هو فقد كانت له في المكان نفسه صلاته المسيحية العادية إلا أنه جعلها مع المسلمين باتجاه الحرم المكي.

يذكر للبابا أيضاً أنه في اسطنبول امتدح المدينة بأنها كانت جسراً بين القارتين الآسيوية والأوروبية. وكان في السابق قد قال إن أوروبا ليست مجرد قارة ولكنها ثقافة.

هل كان هذا كله مواقف عفوية جاءت بغير قصد أم أنها مبرمجة في نوع من الخطأ الخلاق على وزن «الفوضى الخلاقة» أو «الفموض الخلاق» منطلقاً لإقامة علاقة مسيحية اسلامية ودية قائمة على الاحترام المتبادل بين الدينين.

من اسطنبول حيث بلغ الإسلام قمة مجده الزمني بفتح الأتراك القسطنطينية عاصمة الدولة البيزنطية العظيمة ارتأى البابا أن يوجه تحية إلى الدين الآخر. انها اسطنبول التي زارها قبل فترة خادم الحرمين الشريفين الملك عبدالله بن عبدالعزيز مدللاً على أن تركيا لا يمكن أن تسقط من حساب مسلمي العالم خاصة في عهد رئيس حكومتها الحالي طيب رجب أردوغان الذي شكل ويتكل صعوده ظاهرة لافتة في وجه غزوة الالحاد والعلمانية في البلدان الغربية التي كانت اليابوية في فترة من الفترات موجهتها المطاعة إلى جانب ملوكها ورؤسائها. أما الدول العربية بغالبيتها العظمى بدءاً بالعروبية منها منهجاً إلى غيرها تدرك جيداً ما يعنيه الإسلام لشعوبها فكيف بدولة كالسعودية فيها مكة المكرمة التي انبثت محمداً وفيها نزل الوحي على الرسول.

إن ثنائية العروبة والإسلام وصية ثمينة لكل حاكم عربي يريد عزة بلده وعزة البلدان العربية كلها.

وقد أثبتت التجربة العراقية كما التجربة المغاربية على أن لا شفاء عاجلاً هنا وهناك ببوصلة العروبة وحدها أو بوصلة الإسلام وحده فالمفتاح في الحلول في معظم دولنا هي بالعروبة والإسلام معاً. مع التأكيد على أن هناك قطرين عربيين على الأقل لا يكفي في حل مشاكلها التأكيد على الهوية الإسلامية. فلابد من الهوية العربية أيضاً. وهذان القطران هما على سبيل المثال المغرب والعراق.

فإذا أخذنا مثال العراق اليوم من الواضح أن التأكيد على الإسلام وحده من شأنه أن يلغي دور العراق ويجعله ملتحقاً بجارته القوية الطموحة إيران معرقلاً وضعه الطبيعي كقطب عربي أساسي من أقطار العرب.

وفي كل يوم من حياة أمتنا المعاصرة تبرز دلائل على وجود حالات يبرز فيها عدم كفاية التأكيد على الهوية الإسلامية وحدها للمنطقة أو العربية وحدها. في العراق هناك فرقاء محليون وغير محليين يهمهم تغييب الطابع العربي للبلد لمصلحة النزعة الكردية أو النزعة الإيرانية اللتين دلت الدلائل على انهما

المصـــــدر : الرياض
التـــاريخ : 11-12-2006 العـــدد : 14049
الصفحـات : 33 المسلسل : 219

تريان في عروبة العراق ما يتناقض مع مشاربهما الخاصة. بعكس التأكيد على الإسلام وحده فهو يعطي الأكراد والإيرانيين فرصاً للتلاعب بوحدة العراق ومحاولة عزله عن المجموعة العربية. ومن يستعرض المشاريع الضارة بالعراق والدول العربية يجد أن هذين الخطين السياسيين وإن كان يتولان عادة بالإسلام إلا انهما كانا يفعلان ذلك لمصالحهما الضيقة وإبعاده عن التضامن مع المجموعة العربية لمصلحة جزر سياسية داخلية لا يستفيد من وجودها إلا الخارج غير العربي.

أما العراق العربي فهو الخاسر وحدته الداخلية ودوره العربي والقومي والإسلامي.

في الجزائر الخطر موجود ولكن من العكس وأي من القول بالعروبة وحدها واهمال الإسلام ذلك أن في الجزائر والشمال الأفريقي بعامة يأتي الخطر على العلاقة مع مجموعة الدول العربية من عدم إبراز الإسلام الذي يشكل عنصر جمع مع الآخر بينما العروبة غير مفهومة على حقيقتها هناك. فهي غالباً ما تفهم على أنها عنصرية أو عصبية كالأمازيغية وما يشابهها.

إنه الوعي على الهوية العربية - الإسلامية يطل بوضوح خاص في الجزائر وفلسطين فيغذي حركات وطنية استقلالية وينقذ العراق من كل محاولة بمحاور أبرز ما فيها أنها غير عربية. تحت راية المواجهة للاستعمار في هذه الأقطار تفتح الوعي وانتشر وعمّ بأن الدفاع عن الهوية الوطنية لا يمكن أن يفهم أنه تخل عن الإسلام. بل هو ذاته الدفاع عن الإسلام والعروبة معاً. فرنسا وانكلترا وايطاليا جميعها اكتوت بنار الجهاد العربي ضد الأجنبي المحتل دفاعاً عن هوية الأوطان. وكلما طالت وعمقت الخبرة الوطنية الكفاحية اكتشفت الفئات المتنورة من الشعوب العربية أن ثنائية الإسلام والعروبة هي سلاح الأمة الماضي ضد أعدائها. فالحكام والساسة والزعماء يكتشفون ووراءهم الوعي العام أن الصمود الوطني والقومي هو عربي - إسلامي لأن الهوية المهددة لدى الشعوب هي الإسلامية - العربية معاً.

منذ الحرب العالمية الثانية وما بعدها عما سمي في زمانه مثالية ما بعد الحروب. انتقل عدد من دولنا العربية إلى وضع جديد أصبح فيه الحاكم العربي والسياسي العربي الصادق والمسؤول يعي تماماً أنه ما دامت الهوية العربية الإسلامية هي المستهدفة من بعض طغاة العالم وحكامه وموجهيه. فإن ضمانة الأمة هي الانضواء تحت راية العروبة والإسلام، تلك الثنائية التي ترى فيها شعوبنا ذاتها وعنوانها. فلو أننا استعرضنا البلدان العربية لوجدنا أن هوية قضاياها عربية - إسلامية وبالتالي لا بد أن تدافع عن هذه القضايا بقوة الإسلام والعروبة معاً.

والمسؤول العربي في معظم البلدان العربية يشعر أنه أقوى في الدفاع عن قضايا أمته عندما يقول بالإسلام والعروبة معاً. إن الشعوب العربية ترى قضاياها عربية - إسلامية معاً وهي محقة بذلك طبعاً. فلو استعرضنا هذا العالم العربي من بغداد إلى تطوان كما في

المصـــــدر : الرياض
التـــاريخ : 11-12-2006 العـــدد : 14049
الصفحـات : 33 المسلسل : 219

قصيدة المجاهد العربي السوري المرحوم فخري البارودي لوجدنا أن هذه القناعة موجودة عند معظم السياسيين الوطنيين.

ووجدت جامعة الدول العربية ومهمتها الرئيسية صنع التضامن العربي. وقد يقتضي ذلك تطبيق النظرية القائلة «سيروا سير أضعفكم» كما لو أن أمين عامها الأول عبدالرحمن عزام كان يريد من الدول العربية أن تسير جميعاً إلى الوحدة بالسرعة اللبنانية إلى مواجهة الغرب بالسرعة التونسية البورقيبية وإلى مواجهة الصهيونية بسرعة الفلسطينيين المتواطئين الأوائل خصوم الحاج أمين الحسيني منذ مطلع قيادته للفلسطينيين. ولكن إنصافاً للتاريخ لا بد من الاعتراف أن أمين عامها الأول عزام كان صاحب نظرة سياسية ثاقبة في موضوع العروبة والإسلام وكون الاثنين بحاجة الواحد منهما للآخر. فمن يتابع ما يحدث في العالم العربي اليوم يكتشف أهمية التلازم والتساند بين الهويتين الإسلامية والعربية وكأن الاستعانة بها معاً وسيلة القائد العربي اليوم شبه الوحيدة لوقف التفتيت الذي يحدثه الغلو في الأخذ بالهوية الإسلامية وحدها أو بالعروبة وحدها بحيث تتحول هاتان الهويتان إلى دعوتي تطرف وأحادية مؤذيتين للقضية العربية ولمسيرة الأمة بحيث تمتلئ الدنيا العربية بالمتطرفين سواء في الانغلاق أو التفريط. هذا وان العروبة والإسلام لم يوجدا بالأصل إلا لفتح عقول المؤمنين وقلوبهم بحيث تتسع لتسديد الخطى في عالم صعب المسالك ليس فيه الجانب العربي والإسلامي هو وحده الفاعل.

إن الإسلام وكذلك العروبة قوة كبرى في يدي الحاكم والمواطن العربيين. شرط أن لا تتحولا إلى عالمي تطرف أو تفريط يأتي دائماً من الخيبة والمسافة بين المطلوب والممكن. وهذا ينطبق على كل البلدان العربية ما عدا بلدين هما لبنان وفلسطين.

ففي حين أن كل قضايا العرب هي قضايا عربية - إسلامية فإن قضايا لبنان وفلسطين هي قضايا عربية - إسلامية - مسيحية في الوقت نفسه.

ليس التأكيد على المسيحية في لبنان مجرد تحية للمسيحيين اللبنانيين الذين برهنوا على مدى الأيام على كفاءاتهم المميزة في ميادين العلم والعمل، وعن كونهم ذوي فضل في فكرة لبنان الوطني العربي الناهض. بل خصوصاً في مناداتهم في وقت مبكر بالعروبة النهضوية وسبقهم الكثيرون في هذا المجال وقد عملوا دائماً وناضلوا من أجل إعطاء المنطقة وظيفة تنافسية مع الغرب لا هي بالعداء، ولا هي بالالتحاق وانما هي بأخذ ما هو جيد من أفكار الغرب وتجاربهم وجعلها جزءاً من العروبة.

ولا أحد يجهل ما قدمه المسيحيون العرب في أكثر من وطن عربي، في مصر حيث كانوا منذ وقت بعيد شركاء المسلمين في معركة الاستقلال حتى أن مصر تكاد تكون قد تحررت بشعار يحيى الصليب مع الهلال كما في الانشودة التي رحبت بها مصر بعودة سعد زغلول من منفاه حين هتفت الجماهير «كل

المصـــــدر : الرياض
التـــاريخ : 11-12-2006 العـــدد : 14049
الصفحـات : 33 المسلسل : 219

المحطة نستنى سعد زغلول لما يجينا ويبشرنا بالحرية والاستقلال يحيي الصليب مع الهلال». وهو ذاته الذي يجد فيه لبنان نفسه اليوم.

في لبنان كان الموقف السياسي العام من الاستقلال أكبر دعامة للتحرر اللبناني. ولا يقل الدور المسيحي في الحركة الفلسطينية المناهضة للصهيونية عن دور غيرهم، بل إن الدور الذي لعبوه هناك على الصعيد السياسي والثقافي كان الأوجع بالنسبة للصهيونية لأنه فضح الصهيونية في نظر مسيحيي العالم كحركة معادية للمسيحية أيضاً وليس للمسلمين فحسب.

في لبنان لا بد في كل مرة يشار فيها إلى الإسلام أن ترفق بها إشارة إلى المسيحية العربية الاستقلالية فهذه المسيحية في لبنان تلعب دوراً كبيراً إذا ما هي روعيت في صيانة الحقوق العربية والمصالح العربية في العالم ككل ولا غنى مطلقاً عن ذكر المسيحية اللبنانية كلما كان حديث أو عمل لمصلحة العروبة.

هذا ولا بد من إعطاء المسيحية في فلسطين أيضاً وفي القضية الفلسطينية دوراً لأن العدو في فلسطين هو اليهودية الصهيونية التي تحمل مشروعاً لمصادرة فلسطين ونزع طابعها العربي - الإسلامي - المسيحي معاً. لا لبنان ولا فلسطين يستطيعان الدفاع عن هويتهما بالعروبة والإسلام معاً فقط، بل لا بد في الحديث عن لبنان وعن فلسطين من القول في ما يخص هذين البلدين بأن هويتهما عربية - إسلامية - مسيحية. فالمسيحية هنا هي بالإضافة إلى كونها حقيقة عربية هي حاجة ماسة وضرورة لتصوير اليهودية بأنها ليست في اشتباك مع الإسلام والعرب معاً بل هي أيضاً مشتبكة مع حقيقة اسمها المسيحية العربية. كلمة مسيحية هنا معناها: «استيقظ يا غرب على وجود مسيحيين مثلك معرضين للخطر جراء وقوفك إلى جانب إسرائيل».

في لبنان قد يكون المطلوب عدم الاكتفاء بالتأكيد على الهويتين اللبنانية والعربية معاً، بل أصبح مطلوباً إضافة صفة للإسلام تبدو ضرورية اليوم لقيام المعادلة السياسية القادرة على البقاء وربما كذلك للمسيحية فيقال إن الميثاق هو اتفاق بين الإسلام الواحد من جهة والمسيحية الاستقلالية العربية من جهة ثانية.

صحيح أن هاتين الإضافتين الواحد بعد الاسلام والمسيحية الاستقلالية العربية بعد المسيحية العربية تبدوان من تحصيل الحاصل كما يقال ان واقع الأمور يفرض التذكير لكل الناس بأن المسلمين كانوا ويجب أن يظلوا واحداً وأن المسيحيين استقلاليون عرب.

قد يقول قائل إن هذا الكلام بديهي أو كان بديهياً في مرحلة تأسيس لبنان المستقل والجواب أن واقع الأمر في لبنان ونوع النقاشات الدائر يحتاجان لمصلحة التراث الاستقلالي ولمصلحة لبنان والعرب تسليط الضوء على ما كان في أيام مضت بديهات ولم يعد كذلك.. ربما كان مطلوباً أيضاً النص على المسيحية العربية.